الصيد في كمينه: صورة الحكيم في النكت الشعبية بمواقع التواصل الاجتماعي

د. عادل خميس الزهراني

أستاذ النقد الحديث المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

akalzhrani@kau.edu.sa

مستخلص. ينظر هذا البحث إلى صورة 'الحكيم' في النكت الشعبية المنتشرة في مواقع التواصل الاجتماعي، وخصوصاً (تطبيق الواتس آب)، بشيء من التحليل، هادفاً إلى معرفة التغيرات الطارئة على صورة 'الحكيم'، في هذه النكت.

تمثل (نكت الحكيم) واحدة من الظواهر الثقافية البارزة في منصات الإعلام الجديد، ويظهر الحكيم في هذه النكت مختلفاً عن صورته النمطية في الثقافة العربية، التي تربطه بالوقار والحكمة وصاحب السلطة المطلقة على فن القول. يفترض الباحث أن هذه النكت التي تعكس صورة غير مألوفة عن مكانة الحكيم ووظيفته تخبي خلفها خطاباً يستحق النظر والدراسة. لذلك يقوم البحث بتحليل بنية هذه النكت، ومحاولة ربطها بالظاهرة الثقافية العامة المتمثلة في مواقع التواصل الاجتماعي.

ويأتي موضوع هذا البحث ضمن اهتمامات النقد الثقافي الذي يتناول الظواهر الثقافية والأدبية وعلاقتها بالجمهور، محاولاً استخلاص العوامل المكونة لشعبية هذه الظواهر والقوى المحركة لها. ينظر النقد الثقافي إلى (النكت) باعتبارها نظاماً لغوياً محملاً بالشفرات الاجتماعية، التي يمكن لها أن تكشف عن الخطابات المضمرّة. كلمات مفتاحية: نكتة، مواقع التواصل الاجتماعي، خطاب، نقد.

١- مقدمة

على صورة 'الحكيم'، ومحاولة تحليل ما يمكن أن

تمثله التغيرات التي طرأت على تلك الصورة. يحضر الحكيم في الثقافة العربية، وفي ثقافات أخرى، بوصفه 'مؤسسة رسمية' ذات سلطة مطلقة على الحكمة التي تعد خلاصة التجربة الإنسانية، لكن هذه

يتناول هذا البحث صورة 'الحكيم' في الطرف الاجتماعية، (أو النكت الشعبية كما يطلق عليها)، المتداولة في وسائل التقنية الحديثة ومنصات الإعلام الجديد. ويهدف البحث إلى قراءة التحول الذي طرأ

والسلطوية الهرمية".^{II} من هنا يسعى النقد الثقافي لتسليط الضوء على هذا النظام اللغوي، في محاولة لفك رموزه، والكشف عما يخبئه من خطابات وأسئلة. وسيكون تحليل هذه 'النكت' اعتماداً على منهج تحليل الخطاب الذي يتناول "أنماط اللغة في النصوص، ويهتم بالعلاقة بين اللغة والسياقات الاجتماعية والثقافية المستعملة فيها"،^{III} كما يرى براين بالترديد في كتابه **تحليل الخطاب**. هذا المنهج الذي يُعنى بالخطابات اللغوية تحدثاً وكتابة، "يهتم أيضاً بكيف تقدم استعمالات اللغة وجهات نظر مختلفة لهذا العالم، وكيف تتأثر الاستعمالات اللغوية بالعلاقة بين المتشاركين في الحديث، وكيف تؤثر على الهويات والعلاقات الاجتماعية. كما أنه يهتم أيضاً بكيفية بناء الآراء والهويات من خلال استعمال الخطاب".^{IV} هذا يعني أن تحليل الخطاب "يقود إلى مناقشة الرؤية البنائية الاجتماعية للخطاب، التي تعني أن طريقة ما نقوله تسهم في بناء رؤى معينة حول العالم والناس وأنفسنا".^V

٢ - النكتة: المفهوم والوظيفة

ترتبط الحكمة في الثقافات عموماً بالعقل والمعرفة الواسعة والتجربة العريضة التي تساعد على إصدار الأحكام الصحيحة. والترجمة الحرفية للفلسفة - كما هو شائع ومعروف - تعني (حب الحكمة). وقد تباينت

النكت تمثل انقلاباً غير مسبوق على هذه السلطة، حين تعكس لنا صورة مختلفة تماماً، تخبئ خلفها خطاباً يستحق النظر والدراسة. ويأتي موضوع هذا البحث ضمن اهتمامات النقد الثقافي الذي يتناول الظواهر الثقافية/اجتماعية وعلاقتها بالجماهير، ناظراً في العوامل المكونة لشعبية تلك الظواهر والقوى المحركة لها. تشكل 'النكت الشعبية' ظاهرة تستحق الدراسة؛ ليس لحجم قبولها الجماهيري وانتشارها الواسع والسريع وحسب، بل لقدرتها المستمرة على التجدد والتكيف مع طبيعة الظروف الاجتماعية المختلفة زماناً ومكاناً، والتأثير بعيداً عن سلطة المؤسسة الرسمية، وذلك لأنها تدخل ضمن "الفعل الجماهيري والثقافي [الذي] يقع تحت تأثير ما هو غير رسمي"،^١ مثلها مثل الأغنية العصرية، والإشاعة، والمسلسلات التلفزيونية، كما يؤكد الناقد عبدالله الغدامي، في كتابه (النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية).

من هنا ينظر النقد الثقافي إلى (النكت) باعتبارها نظاماً لغوياً محملاً بالشفرات الاجتماعية، التي يمكن لها أن تكشف عن الخطابات المضمرّة. فالنكت كما ترى الناقدة الثقافية ماري دوقلاس "ترفض التصنيف والتسلسل الهرمي"، ولذلك "فهي رموز دقيقة للتعبير عن المجتمع - في هذا السياق - الخالي من التمييز

^١ الغدامي، عبدالله، **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، ط ٢، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١) ص ١٥.

^{II} Daughlas, Mary, "Jokes," **Rethinking Popular Culture: Contemporary Perspectives in Cultural Studies**, ed. Chandra Mukerji & Michael Schudson,

(Berkeley & LA: University of California Press, 1991) p. 303.

^{III} بالترديد، براين، **تحليل الخطاب**، ترجمة: عبدالرحمن الفهد، (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٨) ص ٢.

^{IV} السابق.

^V السابق، ص ١.

(التهكم السقراطي)، نسبة إلى الفيلسوف الإغريقي الذي كان يعتمد إلى إبراز نفسه جاهلاً في محاوراته مع السفسطائيين،^٧ بهدف الإيقاع بهم وإظهار مدى جهلهم.^٨ ويرى عبدالحميد شاكر أن اهتمام كبار الفلاسفة يأتي لوجود ارتباط بين فسلفاتهم وأفكارهم الخاصة بعلم الجمال وبين أفكارهم المتعلقة بالضحك، "فالضحك وثيق الصلة بالفن والإبداع والتذوق".^٩ ويعطي شاكر مثلاً - من عدة أمثلة يحشدها في كتابه - بالفيلسوف 'الضاحك' ديمقريطس الذي "كان يلجأ إلى الضحك [على حماقات الجنس البشري]، كوسيلة ذات طبيعة جيدة تساعد على التحمل والمواجهة".^{١٠}

وينقل أبو إسحاق القيرواني في فصل بعنوان (حاجة أهل الأدب إلى ظريف المضحكات) عن الأصمعي قوله: "بالعلم وصلنا وبالمُحَلِّح نلنا".^{١١} كما يورد القيرواني بيتين لأبي نواس يربط فيهما بين الحكمة والإضحاك، يقول فيهما:

آراء المفسرين في معنى الحكمة في قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)،^{١٢} كما يرد عند الطبري، بين العلم، والعقل، والفقه بالقرآن، والإصابة في القول والفعل (من هنا خصها بعضهم بالنبوة).^{١٣} من هنا يورد ابن منظور عدداً من التعريفات الخاصة بمفهوم 'الحكيم'، فالرجل الحكيم هو العدل المتقن للأمور، الذي أحكمته التجارب. "ويقال لمن يُحسُنُ دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم.... والحكيم العالم وصاحب الحكمة".^{١٤} وقد عرّف ابن القيم الحكمة بأنها "فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي".^{١٥}

من هنا ارتبطت صورة الحكيم في الأذهان بقول الصواب وفعله، وأنه الإنسان الذي يملك المقومات الكافية التي تؤهله للإفادة من خلاصة تجاربه الإنسانية، وتجارب الآخرين، وتقديمها لعامة الناس للإفادة منها. هذه المقومات تجعله يسيطر على المعرفة، وعلى وسائل تقديمها للناس، حتى حين يتربط الأمر بالسخرية والضحك.

وقد ارتبطت السخرية والضحك بالحكمة منذ القدم، إذ تورد كتب الفلسفة طريقة من طرق السخرية تدعى

VI انظر: بدوي، عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ٥٧٨، و معهد

الإنماء العربي، الموسوعة الفلسفية العربية، ج ١، ص ٤٧٥.

VII عبدالحميد، شاكر، الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، (الكويت: عالم المعرفة، ٢٠٠٣) ص ٦١.

VIII السابق، ص ٦٥.

IX أبو إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني، جمع الجواهر في الملح

والنواذر، تحقيق محمد العزازي (بيروت: دار الكتب العربية، ١٤٣٩ هـ) ص ٣٨.

^١ سورة البقرة، آية ٢٦٩.

^٢ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبدالله التركي، ج ٥، (القاهرة: دار هجر، ٢٠٠١) ص ١٢.

^٣ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح ك م).

^٤ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق البغدادي، ج ٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣) ص ٤٤٩.

^٥ السفسطائيون جماعة من اليونانيين اتخذوا من التعليم مهنة لهم، وكانوا يعتمدون على البلاغة والجدل في تعليمهم ومناظراتهم، وقد انتشروا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد (انظر: معهد الإنماء العربي، الموسوعة الفلسفية العربية، ج ١، ص ٤٧٩).

"إني أنا الرجل الحكيم بطبعه *** ويزيد في عامي حكاية من حكى
أتتبع الظرفاء أكتب عنهمو *** كما أحدث من أحب فيضحكا"^I

كان "أول من استعمل النكتة بمعنى التعليق الساخر في رسالة".^{IV} ويعرّف الفيلسوف الألماني شوبنهاور النكتة بأنها "محاولة لإثارة الضحك على نحو قصدي، من خلال إحداث التفاوت بين تصورات الناس والواقع المدرك، عن طريق إبدال هذه التصورات على نحو مفاجئ، في حين تظل عملية تكوين الواقع (الجاد) مستمرة".^V وكان الفيلسوف الإغريقي إفلاطون قد رأى "أن الضحك الساخر ... يقوم بدور 'محكمة القانون' التي تصدر أحكامها الخاصة بشكل مباشر وحاسم".^{VI} من هنا يؤكد الباحثان توماس كاثرت ودانيال كلين أننا كبشر "قد اكتشفنا - في الحقيقة - أن (التكيت) أو صنع الطرائف هو إحدى الطرق الناعمة (البارعة) لاستخلاص الأفكار الفلسفية العامة".^{VII} ولذلك عدّ سيجموند فرويد الفكاهة "واحدة من أرقى الإنجازات النفسية للإنسان"، لأنها "تصدر عن آلية (ميكانيزم) نفسية دفاعية في مواجهة العالم الخارجي المهدد للذات، وتقوم هذه الآلية الدفاعية على أساس تحويل حالة الضيق (أو عدم الشعور بالمتعة) إلى حالة من الشعور الخاص بالمتعة أو اللذة".^{VIII}

وهكذا يظل الحكيم مسيطراً على المعرفة وعلى المنهج؛ يظهر متحكماً في الضحك، وفي أهدافه ووسائله، كما أنه الشخص الذي يضع الكمين في القصة الطريفة وفي النكتة، وهو الذي يضحك، ويضحك الناس على الناس... لكنه لا يظهر غالباً في الجهة الأخرى من الكمين/النكتة، حيث ينقلب السحر على الساحر ويكون مضحوكاً عليه، لا مضحوكاً بسببه. وترد النكتة في المعاجم العربية بأكثر من معنى، منها النقطة السوداء في السطح الصافي، ويقال للعظم إذا أخرج مخه بعد كسره 'نُكت مخه'،^I ومنها جاء استخدام النكتة في التراث العربي أيضاً بمعنى جوهر الشيء وخلاصة المسألة. ومنها كانت "المسألة الدقيقة أخرجت بدقة وإمعان"، كما يستخلصها بوعلی ياسين في كتابه (بيان الحد بين الهزل والجد). وهي في معناها هذا تقترب كثيراً من مفهوم الحكمة، كما أن ياسين يورد المعاني الأخرى التي تقربها من مفهوم الطُرفة مثل نبوة الفارس وسقوطه، ومثل العلامة الخفية، كذلك تشير 'النكتة' أحياناً إلى الجملة اللطيفة التي تؤثر في النفس.^{III} ويرى عباس السوسوة أن بديع الزمان الهمذاني الذي عاش في القرن الرابع الهجري

^V عبد الحميد، ص ٩٦.
^{VI} السابق، ص ٦٥.

^{VII} Thomas Cathcart, Daniel Klein, **Heidegger and a Hippo Walk Through Those Pearly Gates** (New York: Viking Penguin, 2009) introduction.

^{VIII} عبد الحميد، ص ١٢٨.

^I البيتان مثبتان في أكثر من مرجع، بروايات وصيغ مختلفة.
^{II} ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ك ت).
^{III} بوعلی ياسين، بيان الحد بين الهزل والجد: دراسة في أدب النكتة، (دمشق: دار المهدي للثقافة والنشر، ١٩٩٦) ص ٣٦-٣٧.
^{IV} السوسوة، عباس، "النكتة: تأصيل لغوي تاريخي"، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد (٧٩)، الجزء (٢).

لعل ذلك هو ما دفع فرويد لأن يخصص جزءاً من جهده العلمي لدراسة ظاهرة الفكاهة والنكت وتحليلها معتمداً على أدوات علم التحليل النفسي. وقد يكون من المفيد الإشارة سريعاً إلى تحليل فرويد للحيل التي تعتمد عليها النكتة (تكنيكات النكتة)، وهي: (١) التكتيف الذي يتم إما بتركيب كلمات وعبارات معينة، أو بالتغيير في الكلمات والأصوات. (٢) تكرار استخدام المادة ذاتها، سواء كلها أو بعضها، أو من خلال تغيير ترتيبها. أو من خلال استخدام دلالات مختلفة للكلمات معينة، أو معانٍ مزدوجة أو مجازية للكلمات والعبارات، أو عن طريق التلاعب بالكلمات. كل هذه الحيل تعتمد على التكتيف وعلى الإيجاز غالباً، حتى أصبحت (أي التكتيف والإيجاز) أهم سمات النكتة.^١ ويلخص عبدالحميد شاكر وظائف النكتة في عدة نقاط من أهمها: "تحقيق التواصل أو التفاعل الاجتماعي وتجديده"، و"تعزيز التماسك الاجتماعي"، و"مقاومة الاكتئاب والقلق والإحباط"، و"تحديد بعض أنماط السلوك الاجتماعي المقبولة وغير المقبولة"، بالإضافة إلى "التخفيف من وطأة بعض القيود الاجتماعية، والتعبير عن الاتجاهات العامة نحو السلطة"، سياسية كانت أو دينية أو غير ذلك.^٢

من هنا يرى يحيى البشتاوي، في بحث له بعنوان (النكتة الشعبية ودورها النقد السياسي)، أن النكتة "تعبير عن رغبة وتنفيس عن شعور مكبوت وتفرغ انفعالي

بخصوص مسألة استعصى على الذات الإنسانية حلها".^٣

ويخلص البشتاوي إلى أن النكتة وسيلة تعبير "لا يمكن التحكم في مصدر صناعتها، ولا ضبط إيقاعها ولا حتى إيقاف رواجها كتعبير يُشكّل في حقيقته عملاً درامياً مستقلاً بذاته، له تركيبة أدبية وجمالية مضغوطة ومكثفة، تعمل على إفراز مشاعر ومواقف وآراء سلسلة وواعية".^٤

وفي مقال للباحث الأكاديمي فالح العجمي عن (النكتة: تقويمها ووظائفها) أشار فيه إلى أن دافع المقال كان مناقشة دارت في مجموعة (واتس آب) حول دور النكتة في المجتمعات العربية. ونقل العجمي قلق بعض المشاركين في النقاش من أن تكون النكتة وسيلة لتكريس الظواهر السلبية أو تعميمها على المجتمع، كما أشار إلى موقف فريق آخر نظر إلى الجانب التنفيسي الذي يساعد على تخفيف الاحتقان الناتج عن ضغوط الحياة. ويرى العجمي أن النكتة خلاصة للتجارب المتراكمة لأنماط مختلفة من البشر تتحول إلى "لقطة" تعكس المفارقة المنطقية في الموقف، لذلك تعد النكتة من أدوات النقد الفنية البارة -واللاذعة أحياناً- في التأثير على السلوك البشري. ويختتم العجمي مقاله بتساؤل مهم له دلالته في سياق هذا البحث. يقول العجمي: "لكن ما مصيرها [أي النكت] بعد تغير وسائل نقلها؟ أي بعد تحولها من أداة

^١ يحيى البشتاوي، النكتة الشعبية ودورها في النقد السياسي، نيسان ٢٠١٦، موقع وزارة الثقافة الأردنية. تاريخ التصفح: ١٨ يوليو ٢٠١٩:

http://www.ich.gov.jo/sites/default/files/p2_1.pdf

^٢ السابق.

^٣ السابق، ص ١٣٢-١٣٣.

^٤ السابق، ص ٣٩٥.

مباشرة (وجهاً لوجه، وفي إطار الأصحاب أو الشلة الواحدة) إلى أن أصبحت رقمية تنتقل من المعارف إلى غيرهم في سرعة كبيرة؟^١

٤ - نكت الحكيم والإعلام الجديد

يبدو تساؤل العجمي في محله، فنكت الحكيم -التي يتناولها هذا البحث- تنتشر في منصات التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد مثل الفيس بوك وتويتر والواتس آب وغيرها، وتتداولها الحسابات (بشراة) في هذه المنصات. ما حدا بالبشتاوي إلى أن يعد وسائل التواصل الاجتماعي والفضائيات ومحطات التلفزة من أهم عوامل انتشار هذه النكت واتساع دائرة تأثيرها.^٢ توفر المنصات الحديثة للإعلام الجديد ميزتين مهمتين: تكمن الأولى في إمكانية التفاعل المباشر مع هذه النكت بالضحك والتعليق والنقاش وربطها بالسياقات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية الراهنة، بحيث تصبح النكتة محفزاً فورياً للدخول في نقاش حول القضايا المختلفة. أما الميزة الأخرى التي توفرها تطبيقات الإعلام الجديد فهي مساهمتها في توفير المساحة المناسبة لإعادة تدوير هذه النكت، وإعادتها للحياة دون سابق إنذار، بالإضافة إلى إعادة صياغتها وترتيبها وتكييفها لتتناسب والمستجدات دوماً، حتى تبدو حديثة لم تصنع إلا لهذا الطرف أو ذلك الحدث الجديد.

ولصعوبة حصر النكت في كل هذه المواقع، فإن عينة الدراسة ستكون محصورة في عدد من النكت التي يتم تدويرها في تطبيق (الواتس آب)، لأنه - وفقاً لموقع ستاتستا (Statista) - يمثل أكثر منصات خدمة التراسل شهرة واستخداماً.^٣ كما أن النماذج المأخوذة منه يمكن أن تشكل تصوراً شاملاً للظاهرة المطروحة للدراسة. علماً أن نظرة سريعة على ظهور النكت في التطبيقات والمنصات المختلفة تكشف عن عدم وجود اختلاف كبير في طبيعة الظاهرة أو طريقة صياغتها، وقد يُحصر الاختلاف في الإمكانيات والميزات التي يتيحها كل تطبيق على حدة.

لا بد من الذكر أن ظاهرة النكت كانت موجودة، ولعلها كانت متداولة على نطاقات معينة؛ في المجالس، وفي المواقع الإلكترونية ومجموعات البريد الإلكتروني، لكن الانفجار التكنولوجي وتطور وسائل التواصل الاجتماعي، وظهور منصات الإعلام الجديد وتكاثرها أسهم بوضوح في انتشار هذه النكت وتوسيع دائرة متلقيها وموجهيها.

وهذا يقود إلى التفكير في المحفزات التي كانت خلف انبثاق الظاهرة على السطح؛ فرغم أن نكت الحكيم في صورتها الجديدة قد تظهر من فينة لأخرى دون محفز مادي ملموس غير الرغبة في الضحك والإضحاك، إلا أن الأحداث والظروف تمثل محفزاً مهماً في الغالب لظهور هذه النكت وإعادة تدويرها

^١ انظر: موقع:

Statista: the Statistics Portal, date of access 22 July 2019: <<https://www.statista.com/statistics/258749/most-popular-global-mobile-messenger-apps/>>.

^٢ فالح العجمي، النكتة.. تقويمها ووظائفها، صحيفة اليوم الإلكترونية، ٢٠١٤-٠٥-١٨، تاريخ النسخ: ٢ يناير ٢٠١٩:

<<http://www.alyaum.com/articles/931076/>>.

^٣ البشتاوي، ص ٢.

قال حكيم: السمكة التي تغلق فمها لن يصطادها أحد.

قال أحد الحضور: و إذا صادوها بشبك؟
قال الحكيم: من أين الأخ؟
قال : من السعودية.

قال الحكيم: أنت من اللي يداومون ساعة؟؟"

بالطريقة نفسها في النكتة السابقة، ينتهي الحوار بين الحكيم وأحد الحضور بسؤال ساخر يوجهه الحكيم للحاضر المتذكي، وهو بالأحرى سؤال إنكاري (استهجاني) يقصد به الجمهور أحد وزراء الخدمة المدنية في المملكة، إثر تعليق له في برنامج تلفزيوني شهير قال فيه 'إن إنتاجية الموظف السعودي لا تزيد عن ساعة واحدة في اليوم'. تسبب هذا التصريح في حالة من الانفجار في الساحة المحلية السعودية، إذ اشتعل الجدل حول تصريح الوزير ودقة ما ورد فيه، وكفاءة الوزير لشغل منصبه الحساس. فأصبح التصريح حديث الصحافة والإعلام، وظهرت المقالات الشاجبة والرسائل الغاضبة والمقاطع الرافضة والحملات الإلكترونية ضد الوزير وفحوى تصريحه. خصوصاً وأن اللقاء جاء متزامناً مع عدد من القرارات الحكومية الهادفة للترشيد بإلغاء عدد من الامتيازات والحقوق المادية للموظفين في القطاعات الحكومية،

وانتشارها، بعد إعادة صياغتها لتتكيف مع استجد من أحداث.

وقد يكون الظرف حدثاً اجتماعياً أو اقتصادياً أو رياضياً أو قراراً يحرك الرأي العام، ويستثيره فتكون النكت فرصة للتعبير والتنفيس. مثل:

أتى حكيم إلى رجل فقال له:

هل أدلك على ثلاث إن فعلتها نلت رضا الناس !

قال الرجل: وش دخلني في الناس

فقال الحكيم : والله إنك صادق،

طيب تعرف أحد يجيب شغالات لرمضان؟'

يشير تساؤل الحكيم في آخر النكتة إلى ظرف اجتماعي موسمي، تحول إلى ما يشبه الظاهرة الاجتماعية، إذ تتصاعد حاجة العائلات في المملكة العربية السعودية لإيجاد مساعدة في الأعمال المنزلية (حيث يتكثف في الشهر نشاط إعداد الموائد الرمضانية التي تجتمع حولها الأسر مع رغبة في الانشغال بالعبادات)، فيكثر السؤال عن توفر الخدمات المؤقتات، وتبدأ حركة تشبه نشاط السوق السوداء الذي يبرز فيه الوساطات والمزايدات.

وهذه نكتة أخرى أعيدت صياغتها بطريقة ساخرة لتشير إلى مقولة وزير من الوزراء في السعودية في لقاء تلفزيوني، مقولة تسببت في إحداث ضجة كبيرة تحولت إلى قضية رأي عام. تقول النكتة:

في الناس)، أي: مالي وللناس!؟. وقوله: شغالات لرمضان يعني به الخدامات في شهر رمضان.

^{II} سال الحكيم: من أين أنت أيها الأخ؟ فحين علم أنه من المملكة العربية السعودية، قال: أنت من الذين لا تتجاوز مدة بقائهم (أو مدة إنتاجيتهم) في العمل ساعة واحدة.

I- تسيطر اللهجات المحلية على لغة معظم الرسائل، وهو جزء مهم من بُنيته. لذلك لا أحاول التصرف فيها كثيراً. لكنني سأضع بعض التوضيحات المختصرة عن الدلالات الغامضة أو الملتبسة في سطور النكت. في هذه النكتة يقول الرجل رداً على اقتراح الحكيم: (وش دخلني

(حافظ)، الذي سرعان ما يوقف عطاءه عن أولئك الذين لم يبادروا بتحديث بياناتهم في سجلات البرنامج.

٥- صور الحكيم في خطاب النكتة

تشير عينة الدراسة إلى أن الحكيم يظهر في عدة صور مختلفة، فهناك صورة الحكيم المعتادة، فهو الفصيح البليغ عميق الخبرة والتجربة:

سئل حكيم: من أسعد الناس؟

قال: من أسعد الناس.

سألوا حكيماً: أي أنواع الموسيقى هو الحرام؟

فأجاب: صوت الملاعق في صحن الأغنياء

عندما ترن في آذان الفقراء.

وقد يبدو الحكيم في بعض هذه النكت متقاصحاً متفلاً. تؤدي به محاولة الفذلة والتذكي إلى عواقب وخيمة:

سأل غلام حكيماً: ماهي الشجاعة؟؟

فقال: أن لاتنتقم ممن أساء اليك.. بل تحمّل

وتصبر.

فبصق الغلام في وجه الحكيم ليختبره.

فمردغه الحكيم الين أكله التراب" 😊😊😊

فقال الغلام: والله إنني داري إنك كذوب

طلب أحد الحكماء من مدخنين ان

يطفئون^{III} سجائرهم في ثيابهم ..

ما أدى إلى حالة عامة من القلق والإحباط في المجتمع السعودي.^I

وتستغل بعض (النكت) الحدث الاجتماعي بطريقة أعمق وأكثر تعقيداً، فيصبح الحدث جزءاً من تكوين الحكمة شكلاً ومضموناً، كما يلاحظ في هذا المثال:

قال حكيم سعودي

يا بني.. كن في حياتك مثل ساهر وانتهاز كل فرصة والتقطها

وإلا فإن حياتك ستكون مثل حافظ تنساك إن لم

تحدثها

توظف النكتة نظامين حكوميين من برنامجين مختلفين أحدثا تساؤلات واسعة وجدلاً مستمراً. ف (ساهر) نظام مروري آلي يتصيد المخالفات المرورية لساتقي المركبات في المملكة، ويحرر على إثرها غرامات مالية عليهم، أما (حافظ) فهو برنامج دعم حكومي لأولئك الذين لم يحالفهم الحظ في الحصول على وظائف أو على دخل مادي ثابت. وتستفيد الحكمة/النكتة من مفارقة الأخذ والعطاء في هذين البرنامجين لتجعلهما جوهر الرسالة التي يريد (الحكيم السعودي) إيصالها للناس. فالحياة مجموعة من الفرص التي لا ينبغي تفويتها، والنموذج هنا هو برنامج (ساهر) الذي لا يفوت فرصة في الأخذ، وإلا فإن النسيان سيكون نصيبك إذا انتظرت أن يأتيك العطاء، فهناك ألف مبرر لتوقّف الحياة العطاء عنك، كما يفعل

^{II}- أي أن الحكيم ضربه ضرباً مبرحاً، حتى تلتخ جسده بالتراب.
^{III}- الصحيح نحويّاً بطبيعة الحال: (يطفئوا).

^I يمكن الاطلاع على قصة تعليق الوزير على هذا الرابط من يوتيوب تحت عنوان (الوزير المقال القصة كاملة). تاريخ التصفح: ١٠ أغسطس ٢٠١٩ <

<https://www.youtube.com/watch?v=IO9uPx5aNxU>>.

قال أحدهم : وهل نحن مجانين !! حتى نحرق
ثيابنا ؟

فرد الحكيم: هل ثيابكم أعلى من أرواحكم !!
قال المدخن: على شحم.. لا أطفئها في خشمك.^١
فذهب الحكيم وهو يردد مقولة ابن مصلح
الزهراني:"

لعنكم الله ولعن من رباكم (٢ =) .

أحد الحكماء سأل جنوبياً: هل الهواء الذي نخرجه
من صدورنا حار أم بارد؟
قال الجنوبي: بارد
قال الحكيم: أجل.. لماذا نفخ أيدينا لندفئها عندما
يكون الجو بارداً؟

استدرك الجنوبي.. ثم قال: لا.. حار

قال الحكيم: إذن.. لماذا نفخ كوب الشاي الحار
لكي نقوم بتبريده؟

قال الجنوبي: نفخوا لحبك .. شفت لحبك؟
نفخوووووه^٣

وهناك الحكيم الواقعي الذي يفكر ويتصرف مثل بقية
البشر:

إذا رماك أحد بكلام جارح فكن حكيماً

وارمه بالورود !!!

مع المزهرية طبعاً

والطاولة إذا (كنت) تقدر ..^{١٧}

مساء التسامح!

وقد يكون الحكيم أحد مشاهير اللحظة في وسائل
الإعلام الجديد، مثل شخصية (العم معيض)، الذي
أصبح أحد المشاهير المختلف حولهم، بعد تسرب
مقطع فيديو له وهو يضرب أبناءه بالعصا، وهي قصة
تحولت إلى حديث الرأي العام وتدخلت فيها أطراف
رسمية وغير رسمية كثيرة. وقد وُظِّفَت شخصية العم
معيض بعد تحولها إلى نموذج يفضي إلى صفات
معينة في عدد من الرسائل والنكت الشعبية:

يقول شكسبير:

أحضان الأنثى ودفع جسدنا يزيل هموم الدنيا

وضغوطها..

وقال أيضاً:

الرجل الذي يعامل المرأة كملكة

دليل على أنه تربى على يد ملكة أخرى.

وهنا دخل 'معيض' بفلسفة مغايرة. وقال:

المرأة كالكهرباء .

إذا أحسنت استخدامها أضاءت لك حياتك بالنور

III- ترددت كثيراً قبل أن أثبت النكتة بصورتها الحالية، لكنني قررت في
النهاية أن أفعل، لارتباط دلالتها بالظاهرة الاجتماعية. يستدرج الحكيم
الرجل الذي ينتمي لقبيلة من قبائل جنوب المملكة العربية السعودية، حتى
ينفذ صبر الأخير (الجنوبي) حين يشعر أن الحكيم يماطله، فيقول له:
(نفخوا لحبك.. شفت لحبك.. نفخوه)، وهي عبارة تفرعية ساخرة تفيد
الدعاء على الشخص، وتعني تقريباً: (نفخت الجن في ذقنك. هل ترى
ذقنك!! نفخوه).

IV تظهر المفارقة في ادعاء الحكمة والتسامح في البداية، ثم تتكشف حين
يقول: (ارمه بالورود، وبالإناء الزجاجي الذي توضع فيه الورود
(المزهرية)، وارمه أيضاً بالطاولة التي وضع عليها إناء الورود.

I- 'على شحم': تعبير سعودي دارج، يفيد التقرع. والمعنى: اسكت. قبل
أن أطفئ السجارة داخل أنفك.

II- ابن مصلح شاعر سعودي شعبي، من مشاهير شعراء جنوب المملكة،
من قبيلة زهران. والعبارة اشتهرت عنه، قالها في حفل شعري شعبي
مباشر، ممتعضاً من ضجيج الجماهير. ثم جرت على ألسن الناس مثلاً،
يقال في لحظات النزق والغضب. يمكن مشاهدة مقطع الشاعر ابن مصلح
وهو يردد العبارة على موقع يوتيوب. انظر: الشاعر بن مصلح للجمهور
لعنكم الله ولعن من رباكم ، موقع يوتيوب، تاريخ التصفح: ٢ فبراير،
٢٠٢٠:

<https://www.youtube.com/watch?v=KRqoH8e_lsc>.

وإذا أسأت استخدامها نفضتك .. ونفضت أم اللي جابتك!

أعتقد كلام معيـض مقنع أكثر من شكسبير.

حكيم يا معيـض...!!

وربما كان الحكيم متواطئاً مع المؤسسة ضد الفرد، فتلبس شخصية المتحدث الرسمي لإحدى مؤسسات الدولة:

اشتكى رجل مهموم إلى حكيم عدم امتلاكه منزلاً.

فقال له الحكيم: سوف أسالك سؤالين

فاصدقني القول : هل جئت إلى هذه الدنيا ومعك منزل؟

قال الرجل: لا

فقال الحكيم: وعندما ستترك الدنيا، هل ستأخذ معك منزلك الى الآخرة؟

فقال الرجل: لا

فقال الحكيم: سبحان الله !! شيء لم تأت به .. ولن يذهب معك .. فلماذا كل هذا الاهتمام؟!

مع تحيات

وزارة الإسكان .. قسم التوعية الدينية.

وكثيراً ما ظهر الحكيم في النكت بصورة الذكوري (المتحيز)، الذي يسخر من المرأة وينتقص من مظهرها ومن تفكيرها وعواطفها:

سئل حكيم : كيف ترى مكياج (بعض) البنات؟؟

قال: أشبه بمصباح علاء الدين

فقليل له: لماذا ؟

قال: الاثنين لو مسحتهم يطلع لك جني"

حكيم ياشيخ ☺

شايب حكيم يقول:

إذا بتتزوج ثانية

خذ وراها الثالثة

عشان تبرّد قلب الأولى و تقرص الثانية وتخوّف

الثالثة من الرابعة

تكتيكات مدربين ٤-٤-٢...!!^{III}

٦- بنية السرد وهيكل النكتة

يمكن القول إن معظم النكت التي تشكل عينة الدراسة تشترك في بنيتها العامة، وتكرر فيها عدد من المظاهر النصية والسمات الأسلوبية، لذلك يمكن التركيز عليها في هذا التحليل؛ بدايةً يُلاحظ أن معظم النكت تأتي على شكل قصة قصيرة، تتضمن حواراً يكون الحكيم طرفاً فيه، وتحضر فيه الأسئلة، كما تحضر النهاية غير المتوقعة، والجملة الختامية التي تشكل ما يشبه (القفلة النهائية للنكتة). وسيركز هذا الجزء على تحليل النكت انطلاقاً من هذه المظاهر، لتوضيح العلاقة بين هيكل النكت وسماتها النصية، وبين الظاهرة عموماً باعتبارها ظاهرة اجتماع/ثقافية، بقدر ما هي ظاهرة لغوية.

^{III} - المعنى أن شيخاً كبيراً وحكيماً يقول: إذا كانت نيتك قائمة بالزواج من ثانية، فتزوج ثلاثة ورابعة، للأسباب التي ذكرها.

^I - نفضتك الكهرباء. أي لدغتك حتى جعلتك تنتفض.
^{II} - أي أنك لو مسحت (زينة الفتاة الصناعية التي تدعى المكياج) سيخرج لك الجني، كما سيحصل معك لو مسحت على مصباح علاء الدين (كما يرد في الخرافة)، وهنا تكمن المفارقة.

القصص استحضار لهذه الوظيفة، لكن في سياق مختلف يسائل ذلك الدور التربوي، إذ تُظهر هذه النكت رفضاً لهذا التقليد (القصة التي تنتهي بعبارة وعظة). ويمكن قول ذلك على تقنية الحوار، وما فيها من استدراج للقارئ نحو النهاية التي تحمل الخلاصة (الأخلاقية والوعظية). ويقوم الحوار في القصص بعدة وظائف، منها "الكشف عن مواقف الشخصيات بعضها من بعض"، ويرى إبراهيم محمود خليل أن الحوار قد يكون "أداة تعبير عن الشخصية لا ترقى إليها التقنيات السردية الأخرى، إذ يتيح لكل من الكاتب والقارئ الوقوف على تنوع الآراء، ووجهات النظر عن طريق الانتقال من الراوي (السارد) إلى الشخص نفسه"، كما "يجعل من الشخصية موضوعاً لتأملات القارئ، ينظر إليها نظر جديدة تختلف عن نظرته إليها في أثناء قيامها بالأفعال وأدائها للأدوار".^٧

ويؤدي الحوار في القصة وظائف مهمة كما يرى السرديون فهو يقوم "بمهمة إخبار القارئ بمجموعة من المعطيات المرتبطة بالأمكانة، والعصر الذي تجري فيه الأحداث، والمدة التي استغرقتها، وبأفعال وحركات الشخصيات، وبعواطفهم وأفكارهم وآرائهم"، وعليه فإن "الحوار يؤدي في إطار الكتابة القصصية وظائف محددة؛ منها: وظيفة تفسيرية إخبارية تجعل الأقوال

يميز الناقد تيد كوهين في كتابه (النكت: أفكار فلسفية حول قضايا تنكيتية) بين نوعين من النكت: النكت العادية الصيغة، والنكت التي تأتي على شاكلة قصة قصيرة.^١ وغالبية النكت التي شكلت عينة هذه الدراسة من النوع الثاني، إذ تُبنى النكتة على شكل قصة قصيرة بالاعتماد كثيراً على تقنية الحوار بين الحكيم وشخص آخر.

ولطالما ارتبطت القصة بالوظيفة التربوية، فالتعلم والاعتبار والاتعاظ كلها من الوظائف التقليدية التي يؤديها السرد، ويذكر عبدالله إبراهيم أن الحيز الدلالي الذي أسسه القرآن لمفهوم القص يتلخص في "الخبر المقيد بالدقة والصواب والحق واليقين والاعتبار والتدبر والحسن".^٢ وقد ظلت هذه الوظيفة مرتبطة بالقص في الثقافة العربية بعد ذلك، "لتحقيق أغراض وعظية وأخلاقية ثابتة... فيكون مجلس القصص... مجلساً دينياً، هدفه التوجيه والوعظ، يقف فيه القاص موقف الواعظ الديني... ثم ينحو منحى تعليمياً في بيان أصول العبادات...".^٣ كما تحضر في هذا السياق مقولة امبريتو إيكو، الذي يذكر "أن مهمة الرواية هي التعليم عن طريق التسلية".^٤

تمثل القصة إحدى الصيغ التي خرج بها العقل البشري لإيصال الرسالة المطلوبة، واعتماد النكت على

السملاي، فن الرواية، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، ١٦ ديسمبر ٢٠١٤، تاريخ التصفح: ٢ فبراير ٢٠٢٠.

<https://www.alukah.net/literature_language/0/79895/>

^٧ خليل، إبراهيم محمود، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكير، ط٤، (عمان: دار المسيرة، ٢٠٠٣) ص ١٨٢.

^١ Cohen, Ted, **Jokes: Philosophical Thoughts on Joking Matters**, (Chicago: University of Chicago Press, 1999) 1.

^٢ عبدالله، إبراهيم، السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢) ص ٤٩.

^٣ السابق، ص ٦٧.

^٤ العبارة مشهورة ومنتشرة في المواقع الإلكترونية، لكني لم أجد مصدراً يؤكد نسبتها لامبريتو إيكو، أو أحد كتبه. انظر مثلاً: ربيع بن المدني

وسيلةً لعرض عناصر الحبكة، ورسم مجرى الأحداث. ووظيفة درامية وذلك حين يعمل تدخل أحد المتحاورين على تحريك الأحداث وإحداث الصراع. ووظيفة وصفية وذلك حين يعكس الحوار سمات الشخصية النفسية وطريقتها في التعبير عن مواقفها وأحاسيسها.^١ ويمكن ملاحظة كيف يقدم الحوار هذه الوظائف للقصة في المثالين التاليين:

فتى سأل حكيم: لماذا أعشقت فتاة حتى الجنون وأنا أعلم في النهاية أنه ليست لي؟
فقال: لأنك خرووووووووف !!

وسأل أحد حكيم قال: ما السر في بشاشة وجهك واحمرار خدودك..

قال: أشرب فيمتو

يبدأ الحوار - كما هو ملاحظ في النكتتين السابقتين - بطريقة تقليدية؛ حيث يبادر الفتى في النكتة الأولى، والشخص المجهول في النكتة الأخرى بسؤال الحكيم سؤالين يبعثان على التأمل، ويوحيان ببحث السائلين عن إجابتين عميقتين تتجاوزان ظاهر اللفظ وسطحية المعنى. وهما سؤالان يليقان بالحكيم وفقاً لصورته النمطية في الذهنية الجمعية.

غير أن الحوار في النكت يكشف عن جوانب جديدة في الموقف الوعظي، أو في شخصية الحكيم؛ فتظهر بشريته المبتذلة، ويظهر سمثله مثل إنسان الشارع إن صح التعبير - سريع الغضب، أو أحرق مثاراً

للسخرية. كما يقود الحوار في النكت إلى أبعاد غير مرئية، أو مسكوت عنها، مثل نظرة الإنسان العادي نحو تقمص الحكيم دور العارف المطلق بطبيعة الحياة وأسرارها. يؤدي الحوار دور الخلفية الصوتية للقصة، لكنها - كما توحى النكت - خلفية ثابتة ومملة، غير ملونة كذلك، في عصر الألوان والموسيقى غير المحدودة، وعصر تعدد الأصوات والمنابر، وتشظي الخطابات، وصعود الجماهير.

لكن الحوار، الذي يبدأ عادياً وروتينياً، ينقلب إلى ما يشبه الكمين اللغوي، الذي يكون الحكيم فيه إما ضحية له (كما حصل مع حكيم السمكة، وحكيم رضا الناس)، أو متواطئاً في صنع الكمين (كما هو الحال مع حكيم الفتى، وحكيم الفيتمو في المثالين السابقين).

يكون الكمين بالانقلاب على سير الحدث في القصة؛ وقد أشار إيمانويل كانت "إلى أنه عندما يستمع المرء إلى نكتة فإنه ينمي بداخله حالة من التوقع تتعلق بالانتظار إلى النقطة التي سيتغير الأمر عندها... متى يتحول؟ متى ينتج منه جديد؟ ثم، وعند punch line، يتبدد ذلك التوقع فجأة، ويفضي الأمر كله إلى لا شيء".^٢ ويكون الانقلاب بعكس المتوقع إما عن طريق إحراج الحكيم برد غير متوقع مثل رفض النصيحة، أو إبداء اللامبالاة وعدم الاهتمام من الطرف الثاني بما يقوله الحكيم، أو بتوفير إجابات متعددة تقود الحكيم إلى الحيرة والتردد. مثل هذه الإجابات تجعل الحكيم يكتشف أن الزمن قد تغير، وأن بضاعته لم تعد تلك البضاعة الثمينة. وقد يحدث الانقلاب بناء على رد فعل الحكيم العادي والساخِر

^١ <http://www.alukah.net/literature_language/0/110556>. عبد الحميد، ص ٩١.

^٢ هرامة، حميد، النص السردي، موقع الألوكة الإلكترونية، تاريخ التصفح ٦ يوليو ٢٠١٩.

•

II- 'طاح وجهه الحكيم': سقط وجهه، كناية عن وقوعه في موقفٍ محرجٍ والمعنى: أحرَجَ الحكيمُ جداً.

وقد عبّر عن هذا الرأي أحمد أمين -صراحة- في كتابه (فيض الخاطر) حين رأى أن العامية منتشرة في المجتمع، وهو ما يجعل استخدامها في الطرف أفضل و'لطف'، ويبث فيها روح الحياة والقبول؛ يقول: "إذا حولت النكتة العامية إلى لغة فصحي سمجت، كما تنبه إلى ذلك الجاحظ^{١١} من قبل.... والناس عادة يتقبلون ما يكتب باللغة الشعبية قبولاً حسناً؛ لأن النبوغ فيها أبرع، وهي لهم أنسب".^{١٧} وفي نكت الحكيم تأتي العبارة الفصيحة وتعقبها العامية (الشعبية) لتمارس ازدواجية اللغة لعبتها في ذهن المتلقي؛ يسأل الحكيم بعض الشبان المدخنين: هل ثيابكم أعلى من أرواحكم!! فيرد أحدهم: على شحم.. لا أطقها في خشمك. (وهذا تعبير شعبي يشير إلى غضب هذا الشاب من تفاسيح الحكيم).

وفي نكتة أخرى يبادر الحكيم رجلاً بالسؤال: هل أعلمك ثلاثة أشياء إذا فعلتها نلت رضا الناس؟! فيأتي رد الرجل مفاجئاً: لا .. علمني متى ينزل الراتب وفكنا من سؤالك الهاملة!! (يستخدم الرجل، المهتم بموعد صرف الراتب الشهري أكثر من حكم الحكيم، عبارة 'سؤالك الهاملة'، وهي عبارة شعبية تعني الأحاديث غير المفيدة وغير الهادفة).

وحين يتمادى حكيم ما في استدراج محدثيه بالأسئلة المتذاكية، يأتيه السؤال على طريقته الفصيحة: لماذا تُحادثنا هكذا؟! فيدرك الحكيم حينها أنه على وشك أن يقع في الفخ، ليأتي رده (بالعامية هذه المرة): لا والله.. تعرف حكيم ولزم أتبهل (أو أستبهل، بمعنى: أتذاك وتذالك).

وتتراجع فيها سلطة النخب، حيث الإعلام والصورة تتيجان للجميع المشاركة؛ بحيث يمكن لأي فرد أن يفسر الصورة ويضع عليها تأويله الشخصي، دون إملاءات مسبقة؛ وهذا ما "أطلق إمكانيات التأويل الحر، مثلما وسّع دوائر الاستقبال وسأوى بين الناس في ذلك"،^١ كما يقول عبدالله الغدامي. وهذا بدوره أسهم في تغيير اجتماعي واضح، حيث أصبح صوت الجمهور مسموعاً، وأصبح رأيه ذا قيمة، في الحكم على الظواهر والقضايا، فيما تراجع صوت النخبة، وانحسر دورها في التأثير والتأويل والوصاية؛ هذا لا يعني أن النخب قد اختفت ولم يعد لها دور أو وجود، لكنها -كما يؤكد الغدامي- "فقدت دورها في القيادة والوصاية وتلاشت تبعا لذلك رمزياتها التقليدية التي كانت تملكها من قبل، ولم تعد الثقافة رموزاً فريدة لا في السياسة ولا في الاجتماع ولا في الفن والفكر".^٢

٧- سلطة اللغة وعامية الفصح

بعيداً عن محاولة التفاسيح وتكلف البلاغة التي تسم بعض هذه النكت، فإن أهم المظاهر اللغوية التي تصبغها هي الخلط بين الفصح والعامي، وهو تكنيك أساسي لا يخلو من دلالة؛ فالفصحى كانت وتظل رمزاً لطبقة النخبة الثقافية، وهي سمة من سماتهم، وإن كان العامة يقدرون اللغة الفصحى باعتبارها لغة القرآن ورمز الهوية العربية، إلا أنهم كثيراً ما ينظرون لمتحدثيها من النخبة بنظرة أقل تقديراً، حتى تحوّل الحديث بالفصحى عيباً أو نقطة للسخرية، يشار إلى مستخدمها بالنقّير والتكلف في الحديث لإثبات اختلافه عن طبقة العامة في مجتمعه.

^١ الغدامي، عبدالله، الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥) ص ١١.

^٢ السابق.

^٣ يشير أمين هنا إلى قول الجاحظ في (البيان والتبيين): "وإن سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطعام، فيالك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظاً حسناً، أو تجعل لها من فيك

مخرجاً سرياً؛ فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له". الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ت: عبدالسلام هارون، ج ١، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨)، ص ١٤٦.

^{١٧} أمين، أحمد، فيض الخاطر، ج ٩، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢)، ص ١٢٢.

(الخرفنة) جذراً معجمياً متشظياً: (خروف، خرفن، تخرفن، مخرفن...) يصف حالة المعجب المستعد لدفع كل ما لديه من أجل الحصول على رضا المعجب به. وكذلك تدل عبارة (طاح وجه الحكيم) على موقف الحرج والإحباط الذي أصابه بعد سماعه ما لم يتوقع، وهي عبارة يستخدمها المجتمع، وخصوصاً فئة الشباب، كثيراً، فتكون عبارة (طاح وجهي)، أي أنني أخرجت فجأة حتى أسقط في يدي ولم أحر جواباً، وهو موقف لا يجدر بالحكيم أن يقع فيه في زمن مضى على ما يبدو. وهكذا تأتي العبارة العامية بجوار أختها الفصيحة، وما تحمله من دلالات اجتماعية خاصة لا لتسهم في النتيجة الساخرة/الضاحكة وحسب، بل لتقدم إضافتها للرسالة العامة، والخطاب الخفي الذي تحمله ظاهرة النكت الشعبية.

ولا تكون اللفظة العامية رداً من الحكيم أو من محاوريه في كل الأحوال فقط، بل قد تأتي على شكل عبارة ختامية مقتضبة في آخر النكتة، لتكون قفلة لها، شبيهة بـ 'الخرجة' التي تأتي في نهاية آخر قُفْلٍ في الموشح (وغلّب عليها أن تكون عامية)^١، لكنها في النكتة قفلة ساخرة مبتدلة، ترتبط كثيراً بالحدث الدارج وبالقضية الحامية حينها، وكأنها تقول إن هذا الحدث، أو تلك القضية هي المهم، وتكون عاميتها تمثيلاً لعمامة المجتمع (الذين يمثلون أكثرية الجماهير)، وهذا هو ما يهم هذه الجماهير حقيقة، وليس حكمتك ومعرفتك وبلاغتك وكل التراث والتقاليد التي صنعتك حكيماً في هذه الصورة.

ولعلها تقول ضمن ما تقول أيضاً، إن من يريد أن يلعب دور الحكيم في هذا الزمن، لا بد أن يقترب من الناس، ويعيش همومهم وقضاياهم، بطريقتهم هم، لا

في هذا المثال الأخير، يحرص الحكيم، في الحال التي يتلبس فيها الدور التقليدي الجاد، على الفصحى وهو يحاور محدثيه، لكن حين يأتي السؤال من أحد الذين يحدثهم عن دوافعه خلف استخدام هذه الطريقة ينقطع إيقاع الاستدراج (والفذلقة)، ويكون السؤال كاشفاً يضع الحكيم في مأزق الواقع، حينها يتشبث الحكيم بسلاح محدثيه من العامة، ويرد عليهم بلسانهم (العامي) رداً يشي بأن دوره يقف عند حدود هذه الألعاب اللغوية والتفاسيح ليس إلا، وتكون (البهللة) وظيفة الحكيم الذي لطالما شغل مناصب معرفية وفلسفية مقدسة.

ولا بد من الوقوف عند هذه العبارات المحلية الصرفة التي تضمها النكت، لتشير إلى المجتمع المحلي تحديداً، وما تحمله من أبعاد ثقافية واجتماعية؛ فعبارات مثل: (أكل الأرض، مردغة، لأنك خروف، هبها بالكريك، طاح وجه الحكيم، وغيرها) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع السعودي (والخليجي ربما). وغالباً ما تؤدي وظائف دلالية أبعد من معناها الحرفي، ما يجعلها غير مفهومة -أو مدركة بكافة أبعادها- في سياقات اجتماعية مختلفة؛ فأكل الأرض مثلاً تحمل، بالإضافة إلى دلالة الوجع والذل، بعداً كاريكاتيرياً ساخراً لا يدركه الغريب عن السياق الخاص الذي تُقال فيه العبارة (وهو سياق إقليمي ضيق أحياناً)، كما أن (الخروف) في عبارة: (لأنك خروف) المقصود به الشاب الرومانسي المحب للفتاة، تقود بالضرورة إلى استخدام المجتمع لهذا التعبير للدلالة على وضع معين، كما تقود إلى ظاهرة اجتماعية شهيرة في المجتمع السعودي وكل ما يدور حولها من جدل واختلاف أحال 'الخروف' ومشتقاته إلى مصطلح اجتماعي بارز في المعجم المحلي، فأضحت

^١ انظر: عتيق، عبدالعزيز، الأدب العربي في الأندلس، (بيروت: دار النهضة، ١٩٧٦) ص ٣٤٩.

بأخرى، وممثلهم في هذا السياق هو 'الحكيم' الذي يطال التغيير هنا صورته ووظيفته، بعد أن احتفظ بهما طويلاً في الوعي الجمعي.

وهو تغيير يعني -كما أظهرت النكت وما تحمله من روح ساخرة- اهتزاز صورة النموذج، الذي يمثله الحكيم هنا، وبالتالي رفض ما يمثله من سلطة أبوية أو هرمية. تهتز صورة الحكيم، وتضع النكت له ملامح لم يعهدها وجهه، وتجعله يرتدي ألواناً لم تكن تليق به في وقت مضى، بل ترسمه -أحياناً - بطرق كاريكاتيرية، وتورطه في مواقف محرجة تحول فيها تقاصحه وتذاكبه إلى فخ، يجعله يبدو مهرجاً بهلواني الطباع. كل هذا يقود إلى وضع سلطته تحت مجهر الشك، فتصبح موضع تساؤل المجتمع، واستنكارهم ربما. فهل يعني هذا أن الحكيم (بصورته التقليدية الراسخة) أضحى كائناً خارج الزمان، منتهي الصلاحية، لا وظيفة له في زمن التكنولوجيا ومنصات التواصل الاجتماعي؟

شخصياً لا أعتقد ذلك؛ فقد أظهرت النكت، وأظهر تحليلها، اعترافاً ضمناً بدور الحكيم، واحتراماً لسلطته التي اكتسبها عبر الزمان، لكن هذا الزمان قد وصل إلى منعطف حتمي يوجب إجراء تعديلات جوهرية على صورة الحكيم ووظيفته. تشير النكت إلى أن طرق الحكيم التقليدية، والملتوية، لم تعد تجدي في عصر ما بعد الحداثة؛ فالصبر، والتأمل، واللغة الهادئة المكثفة، وربما الفصاحة والبدئية اللغوية، لم تعد تقيد في هذا الزمن ولم تعد تناسبه. فهي لا تعين أبناء هذا المجتمع (الذين يستهلكون هذه النكت) على مواجهة ظروف هذا العصر، ولا تحل مشاكلهم المعقدة، فلم يعد الوقت ترفاً في زمن السرعة الذي نشهده.

في مشهد لافت من المسلسل الكوميدي الشهير (واي فاي)، يجتمع صفوة رجال القبيلة في خيمة شيخهم

بطريقته التي ربما لا تخلو من حكمة ومن رسالة تدعو للتأمل، لكنها طريق طويلة لا تناسب عصر السرعة والخفة، ولا تناسب الحدث ولا الزمان ولا المكان. حكيم هذا الزمان هو ذلك الحكيم الذي يبدو فرداً من أفراد المجتمع، يغضب ويتصرف برغبة، ويتأثر بقضايا الرأي العام، ويسيء أدبه أحياناً، ويطلب دخاناً (سجائر)، ويبحث عن شغالات (خادمات) في رمضان... الخ. لم تعد صورة المترهب المتسربل بروح بوذا الصورة الذهنية المألوفة للحكيم في مجتمع ما بعد الحداثة... لكنه الحكيم الذي يشعر بهم، لأنه مثلهم يمشي في الأسواق ويأكل الطعام، بل الكثير من الطعام، حتى تضطره السمنة لعملية التكميم:

قال حكيم وكان ذا سمن:

ألا أنبئكم بما يرفع الضغط، ويُوجب الربط؟

قالوا: أنبئنا!

قال: أن يأكل غيرك أضعاف ما تأكل ولا يسمن.

ثم بكى وهو يأكل «سلطة».

وأنشد قائلاً:

يسمنه الهواء إذا تنفّس

ويسمن إن رأى الفول المدمس

٨- ما الذي تقوله النكت؟

بعد هذا التحليل النصي والسياقي، يبقى السؤال الأهم عن القوى المحركة لهذه النكت، وعما تقوله لنا هذه الظاهرة في المجمل. يمكن أن نتفق على أن التغيير، بوصفه عاملاً تاريخياً حتمياً، هو أبرز العوامل التي تقف خلف انبثاق الظاهرة وإبقائها حية ومتجددة في المجتمع.

وهو تغيير يتجه نحو مشاركة الجمهور في صناعة المعنى، وفي عملية التأويل، وفي تحويل الرسالة (نصية كانت أو ثقافية)، والتحكم في توجيه مسارها التاريخي. وهي مشاركة يدفع ثمنها النخب بطريقة أو

لكنها تزيل وتذيب التوتر في الوقت نفسه. لذلك يعتمد الإنسان إلى صنع النكت حول أشد الأمور رعباً لنا نحن البشر، كالموت مثلاً. في الحقيقة، لقد اكتشفنا أن (التنكيت) وصنع الطرائف هو إحدى الطرق الناعمة لاستيضاح الأفكار الفلسفية المطلقة".^{١١}

٩ - الخاتمة

من المهم في سياق وصف هذه الظاهرة التأكيد على عدد من العوامل المؤثرة في بقائها وانتشارها، ويأتي في رأس القائمة عدمُ حصانة الرسائل وضعفُ مناعتها، مما يجعلها عرضةً للتغيير والتوجيه والأدلة دون ممانعة أو مقاومة. من هنا يُلاحظ تغير الصياغة النصية للنكتة ذاتها من وقت لآخر، ومن سياق لآخر، واعتمادها (الاعتباطي) على مزاج مرسلها الذي يملك كامل السلطة عليها، ما يجعلها نهباً ليس لثقافته ومستوى تعليمه وحسب، بل لمزاجه اللحظي وأيديولوجيته كذلك. من هنا لوحظ على النكت كثرة الأخطاء النحوية والإملائية، والشعبوية المموجة أحياناً، واعتمادها أحياناً على لهجات محلية، وارتباطها بأقاليم معينة. (وقد تستخدم النكتة ذاتها في التنافس العصبي القبلي فتظهر بأكثر من صورة).

عدم حصانة النكت يقود أيضاً إلى تدويرها المكرور والممل أحياناً، وهو ما يؤدي إلى ابتذالها، ويفقدها بريقَ الدهشة. لكن مرونتها، (التمثلة في عدم

لمناقشة أهم قضاياهم وأخطر قراراتهم. لكن المشهد لا يبدي ما تتضمنه هذه الكلمات من هيبة وجدية، إذ يكتفي رجال القبيلة بالاستماع إلى كلمات شيخهم السخيفة وقصصه الساذجة، والترديد سويماً بإذعان وبلاهة: 'حكيم يا شيخ'!

يصور المشهد التبعية الساذجة لرأس السلطة (الشيخ الحكيم)، وما تشير إليه ضمناً من جهل هذا الجمهور وتبعيته العمياء وإرادته المسلوقة. وتقوم النكت بدور مشابه لما يفعله المشهد الكوميدي، لذلك تحمل النكت بالضرورة نقداً سياسياً/اجتماعياً لاذعاً يبدي رفضاً لأي سلطة تحاول سلبه إرادته وحرية. "منذ بدايات ظهور النكتة الشعبية اقترنت وظيفتها في كثير من الأحيان بالتعبير عن مغزى سياسي يلامس مجريات الواقع وتداعياته ضمن سياقاته السلبية، فشكلت النكت شكلاً آخر من أشكال التعبير الجماعي عن هموم الجماعة بطريقة مجازية ساخرة فيها نوع من النقد للوضع السياسي والاجتماعي القائم".^{١٢}

لكن الاعتماد على النكت بطبيعة الحال قد يشير أيضاً إلى الخوف من المواجهة، ومن عواقب المواجهة ربما. وهو وضع يجعل الضحك والسخرية الطريقة الوحيدة -ربما- للتعامل مع هذا العالم المجنون، عالم ما بعد الحداثة. يذكر توماس كاثكارت و دانيال كلفن أن النكت يمكن أن "تحدث عن أمور محبطة ومقلقة،

^١ انظر: واي فاي الموسم ٤ - حكيم يا شيخ، يوتيوب، تاريخ التصفح: ٣ فبراير ٢٠٢٠.

^٢ البشتاوي، ص ٨.

^{١١} Cathcart, Thomas & Klein, Daniel, **Heidegger and a Hippo Walk Through Those Pearly Gates: Using Philosophy (and Jokes!) to Explain Life, Death, the Afterlife, and Everything in Between** Daniel Martin Klein, (New York, Penguin, 2009) p. 3.

- الجاحظ، عمرو بن بحر. (١٩٩٨). *البيان والتبيين*. ت: عبدالسلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- خليل، إبراهيم محمود. (٢٠٠٣). *النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكير*. ط٤. عمان: دار المسيرة.
- السملالي، ربيع بن المدني. (١٦ ديسمبر ٢٠١٤). فن الرواية، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية. تاريخ التصفح: ٢ فبراير ٢٠٢٠.

<https://www.alukah.net/literature_language/0/79895/>.

- سورة البقرة، القرآن الكريم، آية ٢٦٩.
- السوسوة، عباس. (٢٠٠٤). النكتة: تأصيل لغوي تاريخي. مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق، مجلد (٧٩)، الجزء (٢).
- الطبري. (٢٠٠١). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق: عبدالله التركي. القاهرة: دار هجر، ٢٠٠١.
- عبدالحميد، شاكر. (٢٠٠٣). *الفكاهة والضحك: رؤية جديدة*. الكويت: عالم المعرفة.
- عتيق، عبدالعزيز. (١٩٧٦). *الأدب العربي في الأندلس*. بيروت: دار النهضة.
- العجمي، فالح. (١٨ مايو ٢٠١٤). النكتة.. تقويمها ووظائفها. *صحيفة اليوم الإلكترونية*. تاريخ التصفح: ٢ يناير ٢٠١٩.

<<http://www.alyaum.com/articles/931076/>>.

- الغدامي، عبدالله. (٢٠٠٥). *الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

حصانتها من انتهاك نصيتها، وتكرار تدويرها)، قد يكون سمةً من سماتها، يجعلها أكثر مناسبة للطرف الثقافي الذي ولدت فيه الظاهرة؛ فهي تسمح للجميع أن يتدخل في صياغتها، وفي توجيهها، وتحوير رسالتها. كما أن إرسالها المتكرر يضمن بقاءها لفترة أطول، وبالتالي تأثيرها كذلك. كما أن مسألة التكرار هذه نسبية في عالم أصبح كل ما فيه نسبيًا الطبيعة على ما يبدو؛ فقد تكون تلك النكتة التي مرّت على متلقٍ ما عدة مرات في منصات مختلفة، هي نفسها التي تظهر في هاتف متلقٍ آخر للمرة الأولى؛ يقرأها، فتتسع حدقتا عينيه، وتتبعثق من فكّيه ضحكة مجلجلة، أو غير مجلجلة، ثم يقرر أن يرسلها لقائمة المضامين لديه في الواتس آب، أو يغرد بها لمتابعيه في تويتر، أو يضعها على صفحته في الفيس بوك... وتستمر الحكاية.

قائمة المراجع

- إبراهيم، عبدالله. (١٩٩٢). *السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- أمين، أحمد. (٢٠١٢). *فيض الخاطر*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- بالتريديج، براين. (٢٠١٨). *تحليل الخطاب*. ت: عبدالرحمن الفهد. الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- بدوي، عبدالرحمن. (١٩٨٤). *موسوعة الفلسفة*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- البشتاوي، يحيى. (نيسان ٢٠١٦). النكتة الشعبية ودورها في النقد السياسي. *موقع وزارة الثقافة الأردنية*. تاريخ التصفح: ١٨ يوليو ٢٠١٩.

<http://www.ich.gov.jo/sites/default/files/p2_1.pdf>.

(2009). *Heidegger and a Hippo Walk Through Those Pearly Gates: Using Philosophy (and Jokes!) to Explain Life, Death, the Afterlife, and Everything in Between*. New York, Penguin.

–

C

ohen, Ted. (1999). *Jokes: Philosophical Thoughts on Joking Matters*. Chicago: University of Chicago Press.

–

D

aughlas, Mary. (1991). Jokes. In Chandra Mukerji & Michael Schudson (eds.), *Rethinking Popular Culture: Contemporary Perspectives in Cultural Studies*. Berkeley & LA: University of California Press.

–

Statista: *the Statistics Portal*, date of access 22 July 2019: <<https://www.statista.com/statistics/258749/most-popular-global-mobile-messenger-apps/>>.

- الغدامي، عبدالله. (٢٠٠١). *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- القيرواني، أبوإسحاق إبراهيم الحصري. (١٤٣٩هـ). *جمع الجواهر في الملح والنوادر*. تحقيق: محمد العزازي. بيروت: دار الكتب العربية.
- ابن قيم الجوزية. (٢٠٠٣). *مدارج السالكين*. تحقيق: البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن منظور. (٢٠٠٣). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
- معهد الإنماء العربي، (١٩٨٨). *الموسوعة الفلسفية العربية*.
- هرامة، حميد. (١٨ ديسمبر، ٢٠١٦). النص السردي، موقع الألوكة الإلكتروني، تاريخ التصفح ٦ يوليو ٢٠١٩: <http://www.alukah.net/literature_language/0/110556>.
- ياسين، بوعلي. (١٩٩٦). *بيان الحد بين الهزل والجد: دراسة في أدب النكتة*. دمشق: دار المهدي للثقافة والنشر.

English References

–

C

athcart , Thomas & Klein, Daniel.

The Hunter in his Own Ambush: Image of the Wiseman in Social Media Jokes

Dr. Adel Khamis Alzahrani,
*Associate Professor of Modern Criticism, Arabic
Language & Literature Dept., King AbdulAziz Univesity, Jeddah.*
akalzhrani@kau.edu.sa

Abstract. this paper attempts to analyse the image of the "wiseman" in social media jokes, WhatsApp jokes in particular, in order to show how this image has changed. The jokes of wiseman represent a cultural phenomenon in social media platforms; they draw a different picture that is not consistent with the traditional image of the wiseman in Arabic culture, as a person who had always preserved wisdom, dignity, as well as the authority upon the art of speech. This study supposes that this phenomenon implies a discourse, which could be analysed and contextualised.

The subject matter of this research is obviously one of the interests of cultural criticism, which studies literary & cultural issues in terms of their relation to the masses. Basically, cultural criticism aims at revealing factors & forces which drive such phenomena, in order to show hidden messages and discourses.

Keywords: Jokes, social media, discourse, criticism.